جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية

جامعة الجامعات العالمية

KAUST

ملك يصنع المستقبل

قراءة: د. فهد بن حسن آل عقران

في حياة الأمم والشعوب قادة عُرفوا بالإنجازات والطموحات الكبرى لصالح أوطانهم والبشرية جمعاء؛ يقودهم في ذلك رؤى استشرافية لما سيكون عليه المستقبل انطلاقاً من قراءة لما يجري على أرض الواقع. وبقدر علو الهمة والامل يأتي الاداء متسلحا بقوة الايمان واليقين بان الله نصير كل من يعمل باخلاص. يقول تعالى في محكم التنزيل: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

وخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يأتي في صدارة هؤلاء القادة الذين يحلمون لوطنهم وللعالم بغد أفضل على صعيد العلم والاقتصاد والحوار المشترك للتقريب بين الجميع.

ولعل جامعة الملك عبدالله بن عبدالعزيز للعلوم والتقنية التي ترى النور اليوم تعد نموذجاً مثالياً للمشروع الذي أطلقه خادم الحرمين منذ عامين فقط ليكون واقعاً خلال أشهر معدودة وبتكلفة تزيد على ١٠ مليارات ريال.

يقول خادم الحرمين الشريفين خلال ترؤسه الاجتمع الأول لمجلس أمناء الجامعة في قصره بالرياض في ١٩ ربيع الماضي: «إن الجامعة كانت منذ ٢٥ عاماً حلماً نتطلع إلى تحقيقه واليوم أصبح هذا الحلم واقعاً، إن هدفنا من إنشاء هذه الجامعة هو التأسيس لقيام اقتصاد معرفي يهدف إلى تنويع مصادر اقتصادنا الوطني وأن تكون جسراً للتواصل بين الحضارات وأن تؤدي رسالتها الإنسانية مستعينة بالله جل جلاله ثم بالعقول النيرة في كل مكان».

إن القراءة الأولى للأهداف التي من أجلها أطلق خادم الحرمين الشريفين (ماكينات) العمل في مشروع الجامعة العملاق تكشف عن زعيم يتمتع برؤية مشرقة ووثابة من أجل المستقبل الذي يفتح ذراعيه للعلم والأبحاث والإنتاج على نطاق واسع وفي مقابل ذلك يسقط المتهافتون والضعفاء والغارقون في الأمور السطحية.

اقتصاد المعرفة وتنويع مصادر الدخل

لقد جاء التأسيس لقيام اقتصاد معرفي لتنويع مصادر الدخل على رأس الأهداف التي وضعها خادم الحرمين الشريفين لإنشاء الجامعة، وذلك في اعتقادي اختيار صحيح وفي محله تماماً. اذ كشفت تجارب السنوات السابقة أهمية عدم الركون إلى النفط والاعتماد عليه كمصدر وحيد في مسيرة التنمية الوطنية لاعتبارات عديدة أهمها التقلب الواضح في سعره ففي الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠٠٩ حالياً ارتفع سعر النفط من أقل من ثلاثين دولاراً للبرميل ليلامس ١٤٠ دولاراً في ٢٠٠٧ ثم عاد إلى الانخفاض ليتراوح بين ٦٠ -٧٠ دولاراً. ولعله من الجدير بالذكر الاشارة الى ان خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز كان اول من دعا الى عدم الاعتماد على النفط في مسيرة التنمية الوطنية فقد قال لدى زيارة له في المنطقة الشرقية عام ١٩٩٩: «ان عصر النفط قد انتهى» عندما انخفضت اسعاره الى ٩ دولارات وتهربت دول العالم المستهلكة من بذل اي جهد لانقاذ الاسعار من الانهيار. وكان من نتاج تلك الرؤية المبكرة للاوضاع على الارض ان بذلت مختلف الجهات الحكومية جهودا اكبر لتنويع مصادر الدخل مما ادى الى زيادة الصادرات غير النفطية الى اكثر من ١٠٠ مليار ريال والتوجه نحو تعزيز الصناعة الوطنية على الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجهها المدن الصناعية لضعف البنية التحتية وصعوبات التوسع في مدن اخرى قائمة.

ولا شك أن المعرفة كانت عبر التاريخ دائماً مصدر بناء الحضارات الإنسانية في كل زمان ومكان، ويكتسب ذلك أهمية خاصة في الفترة الراهنة نتيجة التراكم المعرفي الإنساني على سنوات طويلة وثورة الاتصالات الراهنة التي فتحت آفاقاً واسعة أمام الاقتصاد المعرفي كي يحقق التنمية المستدامة المنشودة بوسائل جديدة تمكن من تخفيض الاعتماد على الموارد القابلة للنضوب مثل النفط. وبات من الواضح أن يلمس المتابعون الأهمية الكبيرة التي توليها الدوائر الدولية الرسمية مثل البنك الدولي للثورة المعرفية في تحقيق التنمية حيث ينظر لها على أنها عنصر إنتاجي أساسي يضاف إلى راس المال والموارد الطبيعية، وتتضمن وثيقة البنك الدولي أربعة أركان اساسية لبناء اقتصاد المعرفة هي التعليم والتدريب والبنية المعلوماتية التحتية والمؤسسات والحوافز ونظم البحث والتطوير.

ولعل ذلك ما تسعى الجامعة إلى تحقيقه من خلال نظم التعليم المتطورة بها ورعاية الموهوبين والباحثين ودعم الصناعات الوطنية في مجال النفط والغاز والطاقة والمياه وهي المجالات التي تشهد تحدياً كبيراً للجميع في المستقبل.

جسر للتواصل بين الحضارات

يمثل دعم التواصل بين الحضارات الهدف الثاني للملك عبد الله من انشاء الجامعة، فهو الذي يسعى لنشر المحبة والسلام في العالم بديلاً عن الصراعات، وليس افضل من العلم ليكون الجسر الذي يمهد لتحقيق هذا الهدف الأثير بعد أن أكتوى العالم بنيران الإرهاب والحروب والأمراض.

إن جامعة الملك عبدالله التي تسعى لتحقيق اختراقات علمية في مجال البحوث بمجالات العلوم والهندسة والمياه والنفط تضع نصب أعينها النهوض بالمجتمع السعودي والبشرية أجمع ولهذا السبب يدرس بها حاليا ٤٠٠ طالب بمرحلتي الماجستير والدكتوراه في مجالات علمية متطورة.

إن الأهمية القصوى التي يوليها خادم الحرمين الشريفين للحوار ليست وليدة اليوم ولا الأمس القريب وإنما ترجع إلى سنوات عديدة مضت عندما أطلق مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني قبل ٦ سنوات لتقريب الرؤى بين مختلف أطياف المجتمع، وقد نجح الحوار في تحقيق أهدافه إلى حد بعيد، إذ اجتمع تحت مظلته عناصر من كافة الاتجاهات ما كان يمكن أن يجتمع في مكان واحد من قبل، وكان من نتاج ذلك مشاركة الجميع في بحث التحديات التي تواجه الوطن وفي صدارتها قضايا الإرهاب والتطرف الفكري وفرص التوظيف والواقع الصحي ومشاكل الشباب والمرأة وغيرها.

أما على الصعيد الدولي فيذكر التاريخ للملك عبدالله جهوده البارزة في افتتاح المؤتمر العالمي للحوار بحضور اكثر من ٣٠٠ شخصية في أسبانيا يوليو من عام ٢٠٠٨ ومؤتمر مكة المكرمة للأديان في نفس العام، لقد وضع خادم الحرمين الشريفين في أسبانيا يده كجراح ماهر على سبب فشل الحوارات في الماضي مؤكداً أنها (تحولت إلى تراشق يركز على الفوارق ويضخمها مما يزيد من التوترات ولا يخفف من حدتها).

وقدم المليك في المقابل وصفة النجاح بالتوجه إلى القواسم المشتركة التي تجمع بين البشر على اختلاف أديانهم.

وكان واضحاً في هذا اللقاء أن خطاب خادم الحرمين الشريفين كان إنساني المحتوى بالدرجة الأولى إذ ركز على احتياجات الإنسان الأساسية والتعرف على العوامل المشتركة التي تقرب بين البشر من خلال التركيز على التسامح وقبول الآخر والتعايش السلمي.

ولا شك أن العالم الذي تجتاحه الصراعات اليوم بحاجة ماسة إلى خادم الحرمين الشريفين كقائد طليعي بارز يقدم افكاراً استراتيجية يسبق بها السائد على الصعيد السياسي والفكري بمراحل متعددة، يسانده في ذلك إيمانه بقيمة الإنسان وشعبه الذين يكن له كل الحب والتقدير.

إن رؤى خادم الحرمين الشريفين الإنسانية كفيلة بأن تحتوي كل البشر على اختلاف دياناتهم وطوائفهم وألوانهم، وهو الأمر ذاته الذي يسعى لتحقيقه في جامعة الملك عبدالله التي تضم دارسين من مختلف الجنسيات.

أسرار التميز

لكن بقي السؤال العريض من وجهة نظري والجميع قائما وملحا وهو «لماذا جاءت جامعة الملك عبد الله على هذا الشكل المثير والملفت للانتباه فى منطقة الشرق الاوسط؟» وبدون الدخول في الكثير من التفاصيل يمكن القول ان الجامعة جاءت بصورة متميزة للاسباب التالية:

١- قناعة خادم الحرمين الشريفين باهمية احداث تحول جذري في مجال التعليم لدوره في صناعة الامم واحداث تحولات هامة بها، وهذه النظرة لدى المليك ليست وليدة اليوم بل نتاج فكر موضوعي يستلهم التجارب الرائدة في دول حققت قفزات علمية كبيرة مثل ماليزيا واليابان وسنغافورة التى ينتمى لها رئيس الجامعة.

٢- جاءت السمة الرئيسية للجامعة علمية تطبيقية بالدرجة الاولى لان دول المنطقة بكاملها لازالت غارقة في الاستهلاك بشراهة في حين يجب عليها العمل على انتاج بحوث علمية قادرة على تحقيق قيمة مضافة للاقتصاد الوطني والعالمي.

٣- ركزت الجامعة على منح الماجستير والدكتوراة في مجالات هامة مثل الرياضيات التطبيقية وعلوم الحاسب والعلوم البيولوجية والهندسة الكيميائية والبيولوجية والعلوم الكيميائية وهى المجالات التي تعد اكثر تماسا بمستقبل البشرية بعد ان تسابقت الجامعات في السنوات الاخيرة لتخريج الآلاف من خريجى الاقسام النظرية ويكفي الاشارة الى تقرير مجلس الشورى التى حذر فيها مراراً من ارتفاع نسبة خريجي الاقسام النظرية بالجامعة الى ٧٦٪ مقابل ٢٤٪ لخريجى الاقسام العلمية.

٤- وضوح الفكرة والهدف وتلاقيه مع احتياجات المجتمع السعودي فالقضايا التي تركز عليها الجامعة تحظى باهتمام كبير لدى المجتمع وفي صدراتها الطاقة والمياه حيث من المعروف ان المملكة التى تنتج ٧٠٪ من المياه المحلاة في العالم تواجه تحديا كبيرا في مجال الترشيد نتيجة ارتفاع كلفة بناء محطات التحلية بشكل كبير لاسيما في ظل الزيادة السكانية الكبيرة حاليا.

** ان جامعة الملك عبد الله التي وفرت امكانات ضخمة وجبارة للباحثين الموهوبين بها قادرة على تحقيق اهدافها فى رعاية الموهوبين ودعم منظومة الابداع والاقتصاد الوطني وتوليد الافكار المبتكرة وتحويلها الى اختراعات تشكل قيمة اقتصادية مضافة للوطن والعالم بأسرة، فالتاريخ يحفظ الكثير من الاختراعات التي غيرت وجه البشرية لاصحابها ومن بينهم ديمترى مندليف العالم الروسي الذى ساعد في عمل اول مصفاة زيت فى روسيا وانجز الجدول الدوري للعناصر الكيميائية اما اسحاق نيوتن فهو صاحب نظرية قوة الجاذبية الارضية. وحصل انشتاين على نويل في الكيمياء في عام ١٩٢١ لاكتشافه قانون الظاهرة الكهروضوئية والنظرية النسبية التى حيرت الكثير من العلماء في العالم. وحقق طومسون العالم الانجليزي نقلة للعلم باكتشافه الالكترون حتى اشتهر بانه ابو الاليكترونيات.

واذا كان من لايشكر الله لايشكر الناس وجب علينا جميعنا ان نحتفي ونكرم خادم الحرمين الذى اهدى الوطن واحدة من اجل الهدايا وهى حب العلم والبحث العلمي ، لكن يبقى من الضرورى الاشارة والتركيز في ذات الوقت على عدد من المعطيات :

** إن جامعة الملك عبد الله مختلفة عن الجامعات الاخرى فهى علمية بحثية وليست لتدريس الطلاب في مرحلة البكالريوس. وبالتالي من الصعب تطبيق نفس المعايير عليها.

** الجامعة تهدف الى خدمة المجتمع السعودي والبشرية جمعاء اي انها ليست لفئة دون اخرى بل ترحب باحتضان كل من يستطيع تقديم اضافة علمية بحثية تخدم العالم بأسره.

** يجب الانتظار على الجامعة ومخرجاتها لسنوات وليس الاستعجال فالبحث العلمي يحتاج الى عمل مضن وشاق وقد يستغرق بحثا بعينه سنوات طويلة للوصول الي نتائج هامة.

** ان الجامعة لن تعمل في جزيرة معزولة عن المجتمع على الاطلاق اذ شرعت منذ وقت مبكر في عقد شراكات علمية مع الجامعات الاخرى والقطاع الخاص للبناء على ما تم تحقيقه من انجازات لاسيما وان الجامعات السعودية ادركت منذ عدة سنوات اهمية التحول نحو الابحاث التطبيقية فانشات العديد من مراكز البحوث وتوسعت في التخصصات العلمية لهذا الغرض وهو ما ينبئ بمنافسة قوية يعود مردودها على المجتمع. لقد وعد خادم الحرمين الشريفين فاوفى على افضل مايكون الوفاء وبقي علينا جميعنا كل في موقعه ان نكون على نفس القدر من الاهتمام والمسؤولية.